مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

الأمن الإعلامي الوطني في ظل العولمة الإعلامية
National media security in the light of media globalization

د. وحيدة بوفدح بديسي
Bbw_2011@yahoo.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تاريخ الإرسال: 2018/07/16 **تاريخ القبول:2018/11/29**

الملخص:

تعاني العديد من الدول في عالمنا اليوم من مخاطر العولمة الإعلامية خاصة على صعيد الأمن الإعلامي، وتسعى العديد من الدول إلى وضع سياسة إعلامية تمكنها من تحقيق أمنها الإعلامي، في هذا السياق يأتي هذا البحث الذي يهدف إلى الكشف عن أهم السبل لتحقيق الأمن الإعلامي الوطني في ظل هيمنة العولمة الإعلامية، من خلال التعرف على الأمن الإعلامي الوطني ومظاهر العولمة الثقافية ومخاطرها، ومستويات تحقيق الأمن الإعلامي الوطني، وفق منهج استقرائي تحليلي، توصلنا من خلاله إلى أنه لا يمكن تحقيق أي نوع من أنواع الأمن في الوطن ما لم يتحقق الأمن الإعلامي الذي يبدأ على مستوى الأسرة من خلال التربية الإعلامية.

الكلمات المفتاحية: العولمة الإعلامية، مخاطر العولمة الإعلامية، الأمن الإعلامي، التربية الإعلامية.

Abstract:

This research seeks to reveal the most important ways to achieve national media security in light of the dominance of media globalization. Through the identification of national media security and the manifestations of media globalization and its dangers, And to achieve levels of national media security, According to an inductive analytical approach, In the end, it is impossible to achieve any kind of security at home unless the

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

media security that starts at the family level is achieved through media education.

Key words: Media globalization, the dangers of media globalization, media security, media education.

مقدمة:

تزامن تقرير "ماكبرايد" الصادر عن ندوة اليونسكو سنة 1980 –التي تناولت موضوع التدفق الإعلامي بين الشمال والجنوب– مع محاولات الدول النامية للخروج من مأزق التخلف وتحقيق أمنها الاقتصادي والسياسي والعسكري في عالم يتنازعه قطبان، حيث أدركت تلك الدول أن ذلك لن يتحقق في ظل التدفق الهائل للمواد الإعلامية من دول الشمال، وأن أي سياسة أو استراتيجية لتحقيق أنواع الأمن تلك لابد أن تأخذ في الحسبان تحقيق الأمن الإعلامي؛ لأن الإعلام هو المسوق لأفكار التحرر والاستقلال والتنمية والتحديث، وأنه هو حامي المقومات الثقافية والقيمية الوطنية من الذوبان في الثقافات الوافدة وفي المضامين القيمية الإعلامية المتدفقة إلينا دون انقطاع.

فإذا كانت بعض الدول ومنها الجزائر قد تنبهت إلى خطر تدفق المواد الإعلامية الأجنبية في وقت مبكر بُعيد نيل استقلالها السياسي، فإن الخطر الذي تنذر به العولمة الإعلامية أدهى وأمر، إذ يفرض علينا أكثر من أي وقت مضى التفكير الجاد في سياسة إعلامية وطنية تحصن المتلقي ضد المضامين الإعلامية الوافدة عبر سموات مفتوحة، لا يجدي معها المنع والحجب، بقدر ما تستلزم بناء عقل ناقد لا يمتص كل ما يتلقاه كالإسفنج، إنما يغربل ويمحص وينتقد ويأخذ ويترك، ويقدم ثقافته وقيمه وموروثه وهو واثق من نفسه، مؤمن بهويته، مفتخر بقيمه وتراثه، متطلع للأخذ من الآخر دون أن يذوب فيه.

انطلاقا من أهمية الإعلام في حماية ثقافتنا وقيمنا الوطنية يسعى هذا البحث إلى الكشف عن سبل تحقيق الأمن الإعلامي الوطني في ظل العولمة الإعلامية التي اكتسحت

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

العالم، وفرضت على شعوبه نمطا ثقافيا مهيمنا، يسعى إلى محو الخصوصية الثقافية المحلية، ويرفض أي تلاقح أو تعايش ثقافي.

ولبلوغ هذا السعي ستتناول هذه الورقة العناصر الآتية:

أولا: مدخل تاريخي وفيه ضبط للمفاهيم (التدفق الإعلامي، الأمن الإعلامي، العولمة الإعلامية).

ثانيا: خطر العولمة الإعلامية على الأمن الثقافي الوطني.

ثالثا: مظاهر وتجليات العولمة الإعلامية من خلال المضامين الإعلامية الوطنية.

رابعا: سبل مواجهة العولمة الإعلامية وتحقيق الأمن الإعلامي الوطني:

أ- على مستوى الإعلام العمومي.

ب- على مستوى الإعلام الخاص.

ت- على مستوى صحافة المواطن.

أولا: مدخل تاريخي وفيه ضبط للمفاهيم (التدفق الإعلامي، الأمن الإعلامي، العولمة الإعلامية).

بين التدفق الحر للأنباء وتداول المعلومات دون قيد أو شرط وبين خصوصية المجتمعات التي تتلقى تلك الأنباء والمعلومات، عاشت دول العالم النامي معضلة حقيقية مست بشكل مباشر أمنها الإعلامي، مما ألقى بظلاله على أنواع الأمن الأخرى. فبعد الحرب العالمية الثانية سعت الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية من ناحية والاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية سابقا من ناحية أخرى إلى إرساء مبدأ التداول الحر للمعلومات، والواقع أن هذا المبدأ لم يكن بريئا تماما فقد أراد كل طرف استغلال مبدأ التدفق الحر في نشر إيديولوجيته، واستقطاب حلفاء جدد إلى معسكره،(*) وقد كانت دول

*- في هذا السياق يقول **جون فوستر دالاس** -وزير الخارجية الأمريكي في عهد الرئيس **أيزنهاور** 1959/1953-: "لو منحت مجالا واحدا من مجالات السياسة الخارجية دون غيره لخصصته لحرية تدفق

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

العالم النامي المتحصل معظمها على الاستقلال السياسي حديثا هي المستهدف من تطبيق هذا المبدأ، ففي عالم يتنازعه قطبان لا مكان لدول تقف على الحياد وإن بدت لنا محاولات جادة في سبيل ذلك، جعلت من تحقيق الأمن الإعلامي أحد مظاهر الحياد الإيجابي.

ويشير مصطلح التدفق الإعلامي إلى سريان وانتقال حجم كبير من المعلومات والأنباء باتجاه واحد، حيث نجد طرفا يمتلك المعلومة وطرفا آخر يتلقى المعلومة بالشكل الذي يريده المالك، سواء رغب المتلقي في ذلك أو لم يرغب. وعادة ما يأخذ التدفق الإعلامي خطا عموديا من الشمال إلى الجنوب يعني من دول العالم المتقدم إلى دول ومجتمعات العالم الثالث (النامي/ المتخلف).

وقد استمرت عملية التدفق الحر للأنباء قرابة الثلاثة عقود، اكتشفت خلالها الدول النامية أن استقلالها مهدد بسبب الخلل الإعلامي، الذي نتجت عنه فجوة إعلامية كبيرة بين دول الشمال التي تمثل منبع التدفق، ودول الجنوب التي تمثل مصبه، وهنا بدأت المساعي في إطار اليونسكو بشكل خاص للحد من ذلك الخلل الإعلامي، ولردم –ما أمكن– تلك الفجوة الإعلامية، وتُوجت الجهود بما عرف لاحقا بتقرير **شون ماكبرايد**، وقد استنتج التقرير ضرورة العمل بنظام عالمي جديد للإعلام والاتصال،كما ذكر التقرير أن مفهوم التدفق الحر يمكن أن يستخدم لمصلحة الدول الغربية، حيث تضمن ممارسة هيمنتها الثقافية، كذلك أشار التقرير إلى ضمان حق الدول النامية في إنشاء أنظمة إعلام وطنية مستقلة من احتكارات مؤسسات وشركات الإعلام المتعدية الجنسية. وذكر مجموعة من المبادئ منها:

1. الاتصال عنصر أساسي للاستقلال الثقافي.

المعلومات. "المصدر: هربرت شيلر: الاتصال والهيمنة الثقافية، تر: وجيه سمعان عبد المسيح، مختار محمد التهامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص 44.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

2. الفجوة تزداد اتساعا بين الدول المتقدمة التي تنشر رسالتها بحرية، وبين الدول التي ليس لديها إمكانية حرية فتنتج عنها آثار سيئة.

3. بما أن تبعية البلدان النامية للدول المتقدمة في ازدياد فيجب على الدول المتقدمة أن تقدم العون للبلدان الراغبة لتقوية قدرتها في ميدان الاتصال.

4. يجب استبدال الاتصال من جانب واحد ليكون شاملا من جانبين.

5. يجب أن يساعد الاتصال على الحد من الخلل القائم، وذلك من خلال احترام استقلالية وكرامة كافة الشعوب دون المس بهويتها.

وفي خضم تلك المساعي تساءل **مصطفى المصمودي** وهو أحد الباحثين الفاعلين في هذا الإطار قائلا: هل إقامة نظام عالمي جديد للإعلام اقتراح ممكن التنفيذ؟ وقدم إجابة عن هذا التساؤل تتلخص في أنه إلى غاية نهاية ثمانينات القرن الماضي كان هذا المفهوم لا يزال يزداد انتشارا، بيد أن إقامة هذا النظام فعلا وتسييره على نحو موفق يعتمدان على الموافقة التامة لجميع المشتركين في عالم الإعلام الواسع وعلى إحساسهم بالمسئولية وواقعيتهم.[1] وهذا ما بينت السنوات اللاحقة عدم توفره وعدم تحققه. إذ أن النظام الإعلامي الجديد الذي نادت به العديد من النخب الإعلامية والفكرية والسياسية في نهاية سبعينيات القرن الماضي لم يتحقق بالشكل المطلوب، وسرعان ما قام نظام إعلامي جديد مختلف على أنقاض النظام القديم، الذي انهار مع انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الاشتراكي. وبنهاية عصر الثنائية القطبية أصبح العالم محكوما بأحادية قطبية اكتسحت مختلف المجالات الاقتصادية بالدرجة الأولى ثم السياسية وبالتالي الثقافية والإعلامية، وظهر ما يعرف بالعولمة، والتي يعدها البعض شكلا جديدا من أشكال الهيمنة التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية، وتسعى إلى فرضها بالقوة الناعمة أحيانا (شركات متعدية

[1]– مصطفى المصمودي: النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص 65.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

الجنسيات، مؤسسات إعلامية وثقافية)، وبالقوة الخشنة أحيانا أخرى (تدخلات وحروب عسكرية، انقلابات سياسية، حصار اقتصادي)، مما أضر بشكل مباشر باستقلال العديد من الدول وأخل بأمنها القومي عموما وأمنها الإعلامي بشكل خاص.

وإذا كان الأمن القومي يشير إلى الأمن الشامل بشقيه العسكري والمجتمعي، الذي تسعى مختلف الدول إلى تحقيقه مما يجعلها في منأى عن التهديدات والمخاوف (حروب، أزمات...)، ومما يحقق لأفرادها الطمأنينة والتحرر من الخوف،[1] فإن الأمن الإعلامي هو شكل أو مظهر من مظاهر الأمن القومي، وإلى ذلك تشير موسوعة العلوم الاجتماعية في تعريفها للأمن القومي بأنه قدرة الدولة على حماية قيمها الداخلية من التهديدات الخارجية، أو هو حماية القيم التي سبق اكتسابها.[2] وهنا يلعب الإعلام دورا أساسيا في حماية القيم المكتسبة في أي مجتمع، فإذا تمتع ذلك الإعلام بالاستقلالية وارتبط بالقيم المحلية تحقق الأمن الإعلامي في المجتمع، ذلك أن الأمن الإعلامي هو: توفير الدولة لآليات حماية الإعلام الوطني من مخاطر التدفق الإعلامي الأجنبي، مع صياغة التشريعات التي تكفل للإعلام الوطني حرية الممارسة الإعلامية في ظل القيم والمصالح الوطنية. ويتجسد الأمن الإعلامي في امتلاك الدولة لكافة وسائل التعبير عن الرأي التي تمنحها القدرة على صيانة ثقافتها وقيمها بالشكل الذي ينسجم مع طبيعة المجتمع ذاته، وهو ما يجعل الأمن الإعلامي

[1]– لمزيد من التفصيل حول مفهوم الأمن القومي ينظر حامد ربيع: الأمن القومي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، 1984، ص 37 وما بعدها.

[2]– ميشيل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح، القاهرة، 1994، ص 127.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

الصمام الحقيقي الذي يحمي المجتمع من مخاطر التدفق المعلوماتي الذي هو من حيث طبيعته ليس إلا محاولة للتدخل والهيمنة.[1]

فالأمن الإعلامي إذن هو عملية تحصين وتحقيق حصانة للإعلام الوطني من عمليات الغزو الإعلامي والاختراق الإعلامي الأجنبي، والحيلولة دون مرور الرسائل الإعلامية المعادية إلا بعد "فلترتها" وتحليل مضمونها، ليس بالعسكرة بل بالتحصين للمؤسسات الإعلامية وللمجتمع. وللأسف فإن مفهوم الأمن الإعلامي –في دولنا العربية بشكل خاص وفي دول العالم النامي بشكل عام– يرتبط في بالعقلية الأمنية المقيِّدة للحريات الإعلامية والمحاربة للانفتاح الإيجابي، ولذلك فإن سبب اهتمام النظام الرسمي العربي بمفهوم الأمن الإعلامي ليس من منطلق الحرص على أمن المجتمع والدولة، بل لحماية النظام نفسه، ولذلك عززت الأنظمة العربية مفهوم الأمن العسكري والسياسي والأمن الإستراتيجي وانحازت نحو هذه المفاهيم، في حين غيّبت مفهوم الأمن الإعلامي من منطلق أن الإعلام في الوطن العربي في حقيقته هو إعلام الحاكم أو إعلام السلطة وليس إعلام المواطن أو إعلام المجتمع.[2]

وفي سياق متواصل عرفت سنوات الثمانينات اتجاها واضحا نحو العولمة الإعلامية في العديد من القطاعات، كالصحافة المكتوبة وبخاصة الأسبوعية وبرامج التلفزيون، وبنوك المعلومات، بالإضافة إلى المعلوماتية والبرمجيات الحاسوبية، الإنترنت، ولا تمس هذه العولمة وسائل الإعلام بالمعنى الدقيق الحصري فقط، بل إنها أدخلت تغييرات عميقة على بعض المجموعات الصحفية والتلفزيونية والمعلوماتية حيث أنها أصبحت مجموعات كبرى ذات

[1]– مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي، الأهلية للنشر، عمان، 2002، ص 111.

[2]– بسام عبد الرحمن المشاقبة: الأمن الإعلامي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص 218، 219.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

حضور عالمي. ومن هنا تبدو صياغة تعريف دقيق للعولمة مسألة شاقة؛ نظراً لتعدد وجهات النظر حول نشأتها ومصادرها وأصولها ومبادئها، والتي تتأثر أساساً بانحيازات الباحثين الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء هذه العولمة رفضاً أو قبولاً، ولا تعد صعوبة تحديد المفهوم هنا مشكلة كبيرة؛ لأن العولمة تفرض وجودها بمظاهرها وتجلياتها، مما يجعلنا نتجاوز البحث في المفهوم. وما يعنينا بشكل مباشر في هذا البحث هو مفهوم وتجليات العولمة الإعلامية، التي تُعد مظهرا صارخا من مظاهر العولمة بشكل عام، بل إن العولمة كظاهرة معاصرة قد ارتبط ظهورها بتطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال، والدليل على ذلك أن أول من تكلم عن العولمة هو الباحث الكندي **مارشال ماك لوهان** صاحب النظرية الإعلامية الشهيرة المعروفة بالحتمية التكنولوجية الذي بشر بالقرية الكونية، حيث أشار في كتابه الحرب والسلم في القرية الكونية عام 1970 إلى الدور الذي لعبه التلفزيون في حرب فيتنام، حيث حول الجمهور من مجرد متلقي إلى مشارك في الأحداث، الأمر الذي أدى إلى اختفاء الحدود بين المدنيين والعسكريين. وهذا الوضع الذي تحدث عنه **ماك لوهان** ندركه جيدا اليوم مع تطور وسائل وتقنيات الإعلام والاتصال وبروز الإعلام الجديد وانتشار ما بات يعرف بصحافة المواطن.[1]

ويقدم **محمد شومان** تعريفًا للعولمة الإعلامية على النحو الآتي: "إنها عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع المستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات، بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة

[1]– رحيمة عيساني: العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010، ص 19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

الجنسية، على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى[1]

ثانيا: خطر العولمة الإعلامية على الأمن الثقافي الوطني:

إن عولمة الإعلام هي سمة رئيسية من سمات العصر المتسم بالعولمة وهي امتداد أو توسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي نتيجة تطور وسائل الإعلام والاتصال، التي جعلت بالإمكان فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتماء إلى مكان محدود، وتشير عولمة الإعلام إلى تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية العابرة للقارات لاستخدامها في نشر وتوسيع نطاق النمط الرأسمالي في كل العالم من خلال ما يقدم من مضمون عبر وسائل الإعلام في المجالات المختلفة، وعند تأمل عناصر وأشكال الاتصال في العالم الذي تملك فيه الولايات المتحدة الأميركية عناصر السيطرة نجد ما يلي:

1– المواد والتجهيزات التقليدية الخاصة بالاتصال وصناعة الإعلام أمريكية.

2– تدفق المعلومات عبر الفضائية تحت السيطرة الأميركية.

3– مصادر المعلومات أميركية الصنع.

4– الطريق السريع للمعلومات تحتل فيه الولايات المتحدة المرتبة الأولى.

كل هذه العوامل تجعل الولايات المتحدة الأمريكية تمارس عولمة الإعلام من خلال أبرز آلياتها متمثلة في القنوات الفضائية والانترنت، وهذا التفوق على أوربا واليابان سواء في الإنتاج أو الترويج للمنتجات الإعلامية مكنها من أن تصبح النموذج الذي تسعى الدول المتخلفة إلى تقليده. وهناك عدم تكافؤ في المصادر بين ما تعرف بالدول الصناعية المتقدمة

[1]– محمد شومان: عولمة الإعلام والهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر، القاهرة، مج 28، ع 02، أكتوبر–ديسمبر 1999، ص 161.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

وما يسمى بدول العالم الثالث، إذ تتركز المصادر الإعلامية من حيث الإنتاج والتوزيع بكافة أشكاله في نفس الدول التي تحتكر مصادر القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية. كما أن عدم التناسب واضح وصارخ بين توزيع مصادر الأنباء في العالم وعدد السكان أو احتياجات الشعوب، ومن الأمثلة على ذلك حجم استهلاك الورق للأغراض الإعلامية حيث يصل متوسط الاستهلاك للفرد سنويا حوالي 5كغ، بينما معدل استهلاك الفرد الأمريكي يزيد عن 60 كغ، ولا يزيد في المقابل استهلاك الفرد في دول العلم الثالث عن كيلو ونصف من الورق فقط. كما يظهر عدم التوازن في تدفق الأنباء بين الدول وخصوصاً بين الأقلية من الدول الغربية المسيطرة على وسائل الإعلام، والأكثرية من الدول النامية في العالم الثالث من الناحية الكمية يمكن تقديرها بالشكل التالي وهو أن التدفق الشامل للأنباء يأخذ طريقه من العالم الصناعي الذي يسكنه ثلث سكان العالم إلى العالم الثالث الذي يضم ثلثي السكان، وهو يصل على الأقل مائة مرة أكثر من اتجاهه من الدول النامية إلى الدول الغربية. كما أن برامج التلفزيون تتبع اتجاهاً واحداً بنفس الشكل السابق، ونفس الشيء بالنسبة لتكنولوجيا الإعلام التي تتركز أساساً في الدول المتقدمة وليس أدل من ذلك على ملكية الأقمار الصناعية بغرض الاتصال التي يسيطر الغرب عليها سيطرة كاملة.[1]

ويتجلى خطر العولمة الإعلامية على الأمن الثقافي الوطني من خلال المؤثرات السلبية الآتية:

– انهيار السيادة الوطنية للإعلام في ظل انهيار المفاهيم الحديثة، وأبرزها قضايا السيادة على الفضاء والحدود وصنع السياسات الإعلامية وظهور تقسيم جديد للعالم.

[1]– وائل عبد الرزاق المناعمة: التدفق الإعلامي، متاح على موقع:
http://site.iugaza.edu.ps/wmanama/extra/course816/ (2017/06/20)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

– اعتماد الدول النامية بشكل أساسي على المضامين الإخبارية والحوارية والإعلانات والبرامج الدرامية الغربية خاصة الأمريكية، مما ترتب عنه زيادة الهيمنة والاختراق والغزو الإعلامي لدول المركز المتحكمة في العولمة على دول الأطراف.

– تدفق الثقافة من مفاهيم وأفكار وعادات وسلوكيات ومعلومات غريبة جديدة إلى دول الأطراف بلا حواجز ولا ضوابط، وفي إطار تنافسي تجاري بين الشركات المتعددة الجنسيات.

– إغفال المنجزات الإيجابية المحلية الوطنية والتركيز على المظاهر السلبية، عن طريق إعطاء قراءة متحيزة للأحداث والوقائع. [1]

– خلق حالة من الاغتراب الثقافي، نتيجة تباين الثقافات وخاصة من خلال تلقي مضامين العنف والرعب والإباحية، وهي مضامين غريبة عن طبيعة ثقافتنا.[2]

كما تشكل العولمة الإعلامية خطرا على الأمن الإعلامي الوطني من حيث تأثيرها على دور الدولة وعلى سلطتها في جوانب عدة أبرزها، إعادة تشكيل العمل السياسي وإفراز بيئة جديدة في نطاق العمل السياسي الخارجي، مما أدى إلى التغيير النسبي في أدوار ومؤسسات العمل السياسي بما فيها وزارات الخارجية ودوائر الإعلام الخارجي، كما أن الوصول الفوري والسريع للمعلومات ومشاهدة ما يدور في العالم ضاعف من عدد القوى الضاغطة في داخل الدولة ذاتها، وقلل من قوة وسطوة السلطة في داخل الدولة.[3]

ورغم أن وفرة المعلومات التي توفرها العولمة تتيح من الناحية النظرية القدرة على صناعة قرارات رشيدة، حيث أن تلك الوفرة تسمح بإجراء تقدير دقيق لمواقف الأطراف

[1]– بسام عبد الرحمن المشاقبة: الأمن الإعلامي، دار أسامة، عمان، 2012، ص 167، 168.

[2]– بركة بن زامل الحوشان: الإعلام الأمني والأمن الإعلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 212، 213.

[3]– مؤيد عبد الجبار الحديثي، مرجع سابق، ص 137.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

المختلفة في أي تفاعل سياسي أو اجتماعي من جهة وزيادة فعالية المجتمع المدني من جهة أخرى، إلا أن هذه الوفرة ليست بالضرورة عاملا مساعدا أمام المجتمعات كافة، فالمجتمعات التي لا تملك القدرة التقانية على مواجهة الكيانات الطامعة، تجد نفسها في طريق يكتنفه التشويش والضبابية وهذا ما يحصل تماما لمجتمعنا العربي.[1]

ويتميز التدفق الإعلامي من دول المركز إلى دول الأطراف بأنه تدفق مدروس بدقة يجعل تقدم التقنية سرا عند مبدعيه، ولا ينقل إلى الأطراف إلا امتدادا للمركز وحضورا فيه، ويصبح احتكار التقنية إستراتيجية لا تقل أهمية عن احتكار السوق أو المواد الأولية، فالمعلومات تصبح سلعة وليست خدمة، لذا فإن العولمة الإعلامية على الرغم مما بها من إيجابيات عملية وسهولة الاتصال بين أرجاء المعمورة، إلا أنها تظل في أيدي الشركات الكبرى في دول المركز التي تحتكر ثقافة الاتصال والإنتاج الثقافي الذي يصبح توزيعه بيد هذه الشركات.[2]

ويرى الجابري أن من مخاطر العولمة الإعلامية أنها نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس لعالم اللاوطن، واللاأمة، واللادولة، أو يغرقهم في أتون الحرب الأهلية.[3]

كما تتجلى خطورة العولمة الإعلامية على الأمن القومي في فقدان الحكومات العربية السيطرة على تدفق المعلومات الأمر الذي يعني أنها تفقد أسمى الحقوق التي تمتعت بها خلال العقود السابقة، لصالح تدفق المعلومات عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكة الإنترنت والتطورات السريعة فيها والتي فرضت بحكم الواقع تطورا في مفهوم سيادة

[1]– المرجع نفسه، ص 112.

[2]– المرجع نفسه، ص 43.

[3]– محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، متاح على موقع الجابري: http://www.aljabriabed.net/n06_01jab_awlama.htm (2017/05/01)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

الدولة، بفعل المداهنة على تقنية المعلومات في وضع الدول إستراتيجيتها واختراق المجتمعات العربية لخلق جماعات ضغط تخدمها، واستنهاض الأطر التقليدية في المجتمع كالانتماء للقبيلة أو الطائفة والتعصب للمذهب بقصد تمزيق الأمة والقضاء على هويتها، لنقل الولاء الوطني إلى الخارج وتفكيك أواصر الوحدة الوطنية وتغريب العقل العربي وتأسيس مفهوم جديد للسيادة الوطنية والقومية يتقاطع كليا مع خصوصيتنا الحضارية[1]

وفي ظل الحالة الانتقالية التي يعيشها مجتمعنا حيث يمر من التقليدية المعاشة إلى المعاصرة نتجت عنها هشاشة واضحة في البنى الاجتماعية والثقافية، من شأنها أن تعرض مجتمعنا إلى خطر التفكك السريع وعدم القدرة على مواجهة مخاطر المرحلة الانتقالية، حيث تتميز بعدد من التفككات القائمة على الثنائيات الآتية: القديم–الجديد، الأصيل–الدخيل، الأصالة–المعاصرة، الثابت–المتحول، القيم القديمة–القيم المعاصرة، الدين–العلمانية، الأجيال السابقة–الأجيال الراهنة، الأسرة الممتدة–الأسرة النووية...) وهو الوضع الذي نتجت عنه المظاهر الآتية:

– التحكم في المخيال الجماعي عن طريق الصورة، وذلك في غياب قدرة المتلقي على مواجهة الغزو الإعلامي وتحصين ذاته، فيكون تبعا لذلك موقفه سلبيا استهلاكيا، خاصة فئة الأطفال والشباب مما يدفع بهم إلى الاستكانة وربما إلى تغيير أنماط السلوك لكي تتلاءم مع خصائص المضامين الإعلامية المعولمة.

– تنميط الحياة اليومية بحكم فراغ المخيال الجماعي وخوائه وظهور نمط واحد من الواقع المعيش يتصف بالتماثل الكوني والتسطيح والتتفيه.

– تنميط المشاعر الإنسانية والتحكم في تشكلها وفق منطق معين من الأولوية والأهمية، فيصبح خبر موت الأميرة ديانا نهاية القرن الماضي، أو زواج ابنها الأمير هاري من

[1]– رسلان خضور، سمير إبراهيم حسن: مستقبل العولمة، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، 1998، ص 20.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

ممثلة أمريكية، حدثا أكثر قيمة وأهمية من الحروب وضحاياها في منطقتنا العربية، ويصبح التعاطف مع الحالات الشاذة والغريبة شعورا كاسحا في مجتمعنا أكثر أهمية من التعاطف مع إخواننا المضطهدين لأسباب عقائدية أو سياسية في مناطق كثيرة من العالم.

– اعتبار الأنشطة الثقافية والإبداعية الإنسانية غير المنخرطة في منطقة السوق مهمشة وثانوية، فكل إبداع لا يتصل بالسوق جزئيا أو كليا يعتبر لاغيا وعديم الجدوى، لذلك لا نجد أي اهتمام من وسائل الإعلام المنخرطة في العولمة الإعلامية أي اهتمام بالتجارب الإنسانية المبدعة الراقية ما دامت لا تجلب النفع المادي بالدرجة الأولى. [1]

ثالثا: مظاهر وتجليات العولمة الإعلامية من خلال المضامين الإعلامية الوطنية:

تشير الخارطة الإعلامية الراهنة للعالم إلى أن التفاوت في السلطة والثراء بين شمال العالم وجنوبه كان له انعكاساته السلبية المباشرة على البنى الإعلامية والتدفق الإعلامي؛ مما أدى إلى خلق أشكال متباينة من عدم المساواة والاختلال والتفاوت الإعلامي، كما ازداد اتساع الفجوة بين من يملكون المعلومات ووسائل نشرها وتوزيعها، وبين من يفتقرون إليها، وكذلك تأكد الاختلال بين من يبثون المعلومات وبين من يتلقونها، فوكالات الأنباء الرئيسة في العالم والمسئولة عن تغذية مختلف وسائل الإعلام الأخرى، ليس فيها وكالة واحدة تتبع العالم الثالث (آسيا – إفريقيا – أمريكا اللاتينية) إنما هي وكالات غربية خالصة، تعبر عن سياسة مالكيها، وتفرض المصطلحات والمسميات التي تخدم دولها.

وهذه السيطرة الإعلامية الغربية شبه الكاملة على تدفق الأخبار والمعلومات أدت إلى تشويه وتحريف للأحداث التي تقع في العالم الثالث، فهناك تركيز متعمّد على الجوانب السلبية مثل الأزمات والانقلابات والحوادث المؤسفة التي تقع في هذه الدول، كما أن هناك

[1]– المنصف وناس: العولمة الإعلامية والمجتمع العربي، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع 04، 1998، ص 11، 13.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

تجاهلاً شبه متعمّد لشتى النواحي الإيجابية والتطورات البناءة التي تقع في العالم الثالث. فهناك تعليمات محددة يتلقاها مراسلو الوكالات العالمية للأنباء بشأن طريقة التغطية الإعلامية لأحداث العالم ككل، وفي الدول النامية بشكل خاص وكذلك أسلوب تحرير هذه الأحداث، وهذا ما أكده أحد المسئولين بوكالة رويترز البريطانية للأنباء، الذي كشف عن العديد من أشكال التحريف في صياغة الأنباء وتحريرها تقوم به وكالات الأنباء العالمية وأشار إلى قضية الموضوعية في تقديم الخدمة الإعلامية وأكد أنها خدعة، وأن رويترز وجميع العاملين فيها يعبرون عن النظرة البريطانية في كل أنشطتها، كما أكد أن وكالات الأنباء الغربية أثبتت بصورة قاطعة أنها عنصر فعال تعتمد عليه المجتمعات الرأسمالية، ولا يمكن لهذه الوسائل أن تتغاضى عن هدفها ووظيفتها في نشر أفكارها ومعتقداتها عن طريق نشر مغرض ومتحيز للحقائق التي اتفق عليها ورحبت بها المحافل الغربية كتفسير للأحداث، ومع ذلك فوسائل الإعلام الدولية لا تقوم من تلقاء نفسها بنشر وترويج أيديولوجيات الغرب، فهي تخضع لأشكال ومستويات عديدة من الرقابة الحكومية التي تدخل في شئونها وتحدد لها أجندتها من الأولويات.

ومن خلال عولمة الإعلام ومظاهرها يمكن القول أن من يملك الثالوث التكنولوجي (وسائل الإعلام السمعية البصرية، شبكات المعلومات، الطريق السريع للمعلومات) يفرض سيطرته على صناعة الاتصال والمعلومات، المصدر الجديد في عصر العولمة لإنتاج وصناعة القيم والرموز والذوق في المجتمعات، وهنا تظهر الصورة كأحد أهم آليات العولمة في المجال الإعلامي بعد التراجع الكبير للثقافة المكتوبة وظهور ما اصطلح على تسميته بثقافة ما بعد المكتوب.[1]

[1]– أدهم عدنان طبيل: الإعلام الحديث في ظل العولمة، متاح على موقع: (2018/06/20) https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2007/05/25/89911.html

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

وفي إطار إغراق سوق الثقافة بالقيم والمفاهيم الأمريكية المعولمة، تستورد القنوات الفضائية العربية على سبيل المثال ما معدله 17 بالمائة من برامجها من السوق الأمريكية، وفي المقابل أضحت بعض شركات الإنتاج التلفزيوني العربي وقنوات البث الفضائية والمحلية تستعير أفكارا وبرامج ترفيهية أمريكية، بل إن بعضها حول الشاشة إلى "نواد ليلية" لعرض فقرات استعراضية ترفيهية مماثلة لما تعرضه أكثر القنوات تطرفا في عرض مشاهد الإغراء والجنس في أمريكا وأوربا، هذا إلى جانب صناعة وعرض برامج العاب ومسابقات، القصد منها تسويق الثقافة الرخيصة، وتحقيق عوائد مالية، سواء من حصيلة المكالمات الهاتفية المحلية والدولية، أو من عرض الإعلانات التجارية، هذه الأخيرة التي تحول فيها الإعلان من رسالة إيجابية بأهدافها المعروفة إلى عمل يتسم بالقدرة على تزوير الواقع، عبر تضليل الحواس بل تخديرها وتعطيلها، مع ما تحمله من تأثيرات على الأطفال، وما تنميه من قيم الروح العدائية والإحساس بالتفوق العضلي وليس العقلي، والحط من قدر المرأة وجعل جسدها سلعة مستهدفة..[1]

إن من مظاهر العولمة الإعلامية التي تتجلي من خلال المضامين الإعلامية الوطنية، نقل الرؤية الغربية المتعصبة عرقيا وثقافيا مما جعل صورة الشرق العربي / الإسلامي تظهر في خطابنا العربي المحلي مخالفة لحقيقتنا ومطابقة لما يريده الغرب، وبتراكم صور التغييب أصبحت المضامين الإعلامية الوطنية نسخة مطابقة عن المضامين الغربية، تطغى عليها صورة مجتمعات مفككة متحللة أخلاقيا وقيميا، والأمثلة عن تلك المضامين لا تعد ولا تحصى (لننظر مثلا للمضامين التي تبثها مجموعة قنوات mbc – وهي من أكثر القنوات متابعة على المستوى العربي–حتى تلك الموجهة منها للأطفال).

[1]– صباح ياسين: الإعلام النسق القيمي وهيمنة القوة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 60، 61.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

إن مثل هذه الوسائل والبرامج تغذي وتدعم لدى المشاهد العربي ما يأتي: الشعور بالنقص نحو الآخرين، انصراف الجمهور عن برامجه الوطنية، عدم الرضا عن واقعه السياسي، فرض نموذج لمجتمع استهلاكي يسعى فيه المرء لتحقيق مختلف متطلباته بأساليب مشروعة وغير مشروعة، كما تعمق هذه البرامج الشعور بالحرمان مما يؤدي إلى المقارنة بين من يعيش في أعلى السلطات وما هو دونه، ثم هناك الإثارة الإباحية والهدف من خلالها تخريب مجموعة القيم الأخلاقية والدينية المتجذرة في الذات الإسلامية والعربية ثم تشويه الواقع العربي لتأسيس حالة من اليأس والإحباط لدى الجماهير، بكون الأمريكي متفوقا وخارقا يفرض القانون المتحضر وأن خصمه همجي متوحش يعيق بناء الحرية.[1]

رابعا: سبل تحقيق الأمن الإعلامي الوطني في مواجهة العولمة الإعلامية:

اتسعت حلقات النقاش وأثير الجدل بين المفكرين والمحللين حول أسلوب ونوعية المواجهة التي يتعين على مجتمعنا وأمتنا اعتمادها لمواجهة ظاهرة العولمة الإعلامية ومخاطرها على أمننا الإعلامي بشكل خاص، والظاهر أن تلك المواجهة لا بد أن تتم على أكثر من مستوى، كما لا بد أن تتضافر فيها جهود متنوعة تتسم بالطابع السياسي والقانوني والتربوي والأهم هنا التركيز على الجانب الإعلامي لأنه كما يقول المثل لا يفل الحديد إلا الحديد، حيث أن المخاطر الإعلامية لا بد أن تواجه إعلاميا، إذ لا يمكن تصور تحقيق أمن إعلامي بإستراتيجية عسكرية أو اقتصادية، إنما الأمن الإعلامي هو الذي يساهم في صناعة إستراتيجية عسكرية واقتصادية لمواجهة المخاطر الخارجية التي تستهدف أمننا القومي بشكل عام.

[1]– مأمون الجنان: العولمة الإعلامية وواقع الإعلام العربي، متاح على موقع:
http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=5605(2017/07/01)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

ويمكننا تحديد مجالات المواجهة الإعلامية من خلال ثلاثة مستويات، يبدو لنا أن الإعلام العمومي يأتي في مقدمتها، كون مسألة تحقيق الأمن الإعلامي وغيره هو من صميم وظائف الدولة ومن مهام السلطة في أي بلد، وهذا نلاحظه حتى في الدول التي تتقلص فيها مساحة العمومي في كل القطاعات إلى أضيق حدودها، إذ تتدخل الدولة بسلطتها لحماية الأمن القومي وتحقيق الطمأنينة المطلوبة لمواطنيها سواء في حالة السلم أو في حالات الحروب والأزمات.

1– على مستوى الإعلام العمومي: الإعلام العمومي هو تلك الخدمة الإعلامية التي تقدمها الدولة لمواطنيها، والتي يتم من خلالها التواصل بين السلطة الرسمية والمجتمع. ولكي يكون هذا النوع من الإعلام فعالا لا بد أن يتجاوز العقلية الكلاسيكية التي تجعل منه اتصالا عموديا من السلطة نحو القاعدة، وأن يتجاوز أن يكون مجرد أداة أو بوق في يد السلطة تمدح عن طريقه من تشاء وتعلن الحرب الدعائية على من تشاء، بمعنى الانتقال كما يقول الأستاذ **صلاح الدين معاوي** من وضعية الإعلام الحكومي إلى إعلام الخدمة العمومية، بما يعنيه هذا النظام من تحقيق النفع للصالح العام أي خدمة الجمهور، بدل التقيد بتوجهات السلطة، وتخلي هذه الأخيرة عن هيمنتها على القطاع وتحكمها في المضامين والبرمجة، وإتاحة الفرص لحرية التعبير وفتح آفاق للمشاركة التعددية في إدارة الشأن العام.[1] ورغم أن البعض أصبح يقلل من أهمية الإعلام العمومي وقدرته على التأثير، إلا أنه يبقى لهذا النوع من الإعلام حضوره القوي وتأثيره الذي لا يخفى خاصة في مجتمعاتنا العربية، حيث لا يزال يتمتع بالمصداقية لدى شرائح واسعة من المجتمع خاصة كبار السن والنساء، فنجد إقبالا ملحوظا على القنوات التلفزيونية العمومية وعلى برامج الإذاعة الوطنية وخاصة محطاتها المحلية، إذ تشير الكثير من الدراسات والأبحاث في هذا الإطار إلى أن الإعلام

[1]– صلاح الدين معاوي: رهانات تحول التلفزيون العمومي، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع02، 2011، ص 04.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

العمومي لا يزال يجد له صدى لدى المتلقي في مجتمعنا رغم كل التطور الذي عرفه قطاع الإعلام والاتصال، الذي منح المتلقي العديد من الخيارات المتعلقة بمصدر المعلومات ومضمونها وشكلها (قنوات فضائية، مواقع إلكترونية، مواقع تواصل اجتماعي...).

ونظرا للمكانة التي لا يزال الإعلام العمومي يتمتع بها فإن من الواجب أن يتحمل هذا النوع من الإعلام –خصوصا– مسؤوليته التامة عن حماية الهوية الثقافية المشتركة لعموم المجتمع، وبالتالي وجب تعزيز آليات الرقابة و"الفلترة" ضد كل الأفكار والقيم الدخيلة، مع الاتفاق أولا حول ماهية هذه الثقافة المشتركة والمنظومة القيمية العامة للمجتمع، دون الالتفات إلى الأصوات الداعية إلى الانفتاح على الآخر دون قيد أو شرط تحت مبرر عدم تحديد سقف للحريات أو حوار الحضارات... بالمقابل ولأن الطبيعة لا تخشى الفراغ من الواجب تشجيع الإنتاج المحلي في مواجهة الأجنبي ودعمه من طرف القنوات وشركات الإنتاج، حيث أن الكثير من الأعمال الجادة والراقية تعاني في بلادنا من قلة أو انعدام مصادر التمويل، مما يجعل الساحة الإعلامية شاغرة لا تملؤها غير الأعمال الهابطة والتافهة من قبيل الكاميرا المخفية وبرامج "التولك شو" المثيرة والمستفزة، فالمتلقي من متابعي الإعلام العمومي في هذه الحالة أمام خيارين أحلاهما مر وكلاهما أسوء من بعض: إما متابعة الإنتاج الأجنبي وهو غالبا أسوء ما عند الآخر (مسلسلات وأفلام إثارة وعنف تفتقر إلى حد كبير إلى القيمة الثقافية والفنية والإنسانية المطلوبة للتعرف على الآخر والانفتاح الإيجابي على ما لديه)، وإما متابعة الإنتاج المحلي الذي لا يخرج إلا نادرا من بوتقة تقليد الإنتاج الأجنبي (تلفزيون الواقع وصحافة الإثارة...) أو تكريس الرداءة الفنية واختزال الثقافة في مهرجانات الرقص والغناء...

إن الإعلام العمومي هو بالدرجة الأولى إعلام يلتزم بترسيخ الهوية والوحدة الوطنية ويحميهما من مخاطر العولمة الإعلامية بما يحققه من أمن إعلامي، فقد جاء في خطاب رئيس الجمهورية السيد **عبد العزيز بوتفليقة** سنة 2011 –أي قبل فتح مجال الإعلام السمعي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

البصري أمام الخواص–: ".. إن أجهزة الإعلام الثقيلة المتمثلة في التلفزة والإذاعة هي كذلك صوت الجزائر المسموع في العالم، وذلك يلزمها الإسهام في ترسيخ الهوية والوحدة الوطنية وفي الآن ذاته تعميم ثقافة الترفيه، لكنها مطالبة فوق ذلك بالانفتاح على مختلف تيارات الفكر السياسي في كنف احترام القواعد الأخلاقية التي تحكم أي نقاش كان..".[1]

2– على مستوى الإعلام الخاص: الإعلام الخاص أو المستقل هو نوع من الإعلام الذي أفرزته ظروف وقوانين وتشريعات الانفتاح في بلادنا، بدأ مع الصحافة المكتوبة في نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات، وتعزز بقانون الإعلام الجديد الذي فتح مجال السمعي البصري للخواص والهيئات المستقلة. أكثر من عشرين مليون جزائري ولدوا ونشئوا وتعلموا، أو يتعلمون، في زمن تكنولوجيات الإعلام والاتصال، ومنهم من لم يتفرج ولو لعشرة دقائق من حياته على القناة العمومية الجزائرية، ومنهم من لم يشاهد الأخبار على هذه القناة ولا مرة واحدة في حياته. هذه حقيقة، يمكن بكل بساطة التأكد منها بإجراء دراسة علمية على مستوى الوطن. هذا الجيل ينشأ الآن ويشكل رأيه وتصوراته ونظرته للأمور من خلال مشارب إعلامية أغلبيتها أجنبية (حتى لو كانت عربية). ألا يمثل هذا خطرا على مستقبل الجزائر وأمنها ووحدتها الوطنية؟[2] إن مثل هذه المخاوف هي التي أدت بالدولة الجزائرية إلى فتح مجال السمعي البصري بعد عقود من فتح المجال أمام الصحافة المكتوبة الخاصة، رغم مخاوف أخرى بالمقابل من سيطرة رأس المال الخاص (الذي

[1]– بوحنية قوي: التلفزيون العمومي الجزائري في ظل غياب فتح القطاع وسيادة منطق الخدمة العمومية، مجلة الإذاعات العربية اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع 02، 2011، ص 48.

[2]– أحمد عظيمي: فتح السمعي بصري حماية للأمن الوطني، نشر بجريدة الشروق اليومي، 2011/04/26، متاح على مدونة الدكتور أحمد عظيمي، http://adimiahmed.over-blog.com/article-72594867.html

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

قد يكون مشبوها أو مجهولا) على القطاع، أو استغلال تيارات أو اتجاهات سياسية أو فكرية للقطاع فيما يضر بالأمن الوطني بأي شكل من الأشكال.

كان من المفروض أن يقدم هذا الانفتاح إضافة نوعية للمشهد الإعلامي الوطني، وأن يساهم بالتعاون والتنافس مع الإعلام العمومي في خلق حصانة لدى المتلقي، تمكّنه من مواجهة سيل التدفق الأجنبي بمضامينه القيمية السلبية، وتجعله يقبل على المضامين الوطنية المحلية ويتمسك بها حفاظا على هويته وقيمه الثقافية. لكن للأسف ما نلاحظه على العديد من قنوات الإعلام الخاص أو المستقل أن الكثير منها يتبع أجندات تحركها تيارات سياسية معينة، ويرسم خطها الافتتاحي صاحب التمويل الذي بيده استمرارها أو إغلاقها إلى الأبد، وهو ما جعل مضامينها إما نسخة مشوهة عن المضامين الأجنبية إن لم تكن قنوات ناقلة للمضمون الأجنبي بحذافيره، أو أنها نسخة طبق الأصل للقنوات العمومية سواء من حيث مضمون ما تبثه من برامج أو ما تستضيفه من شخصيات أو ما تسطره وتنتهجه من سياسة برامجية. وكثيرا ما يؤثر منطق الربح التجاري على مضامين الإعلام الخاص وكثيرا ما يوجه هذا المنطق العمل الإعلامي في القطاع الخاص، مما يجعله يقع في الإسفاف أو الابتذال أو التقليد ويفقده أي توجهات قيمية ترتفع به عن الأغراض التجارية البحتة،[1] وفي هذا السياق يقول الباحث الجزائري **فؤاد بن حالة**: "توجد وسائل إعلام عديمة الذمة، مستعدة لاستغلال كل ما هو قابل للتسويق، حتى ولو أدى ذلك إلى تفتيت مجتمع، أو تعريض استقرار بلد ما للخطر". إنه ما يحصل بالفعل في المنطقة العربية اليوم والتي نراها تتعرض فعلا للتفتيت: العراق، السودان، ليبيا والقائمة مفتوحة،[2] والجزائر ليست بمنأى عن هذه التأثيرات في ظل الانفتاح الإعلامي الذي قد يتحول كما حصل في العديد من البلدان إلى تسيب إعلامي في غياب دولة القانون والمؤسسات.

[1]– لمزيد من التفصيل ينظر: صباح ياسين، مرجع سابق، ص 47 وما بعدها.

[2]– أحمد عظيمي، المرجع السابق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

3– على مستوى صحافة المواطن: في ظل تكنولوجيا الإعلام الجديد عرفت العملية الإعلامية تغييرات واضحة على مستوى الشكل والمضمون، وأصبحت عملية تفاعلية يتم فيها تبادل الأدوار بين المرسل والمستقبل بشكل متواصل، وفي ظل هذه التغييرات ظهر وانتشر ما يعرف بصحافة المواطن، حيث أصبح المواطن المتلقي هو نفسه الصحفي المرسل والمالك للمعلومة.

وتعد صحافة المواطن أو إعلام المواطن أحد أشكال التعبير الإعلامي النقدي، حيث جاء هذا النوع لنقد حال الديمقراطية في الغرب وما آلت إليه وسائل الإعلام التقليدية من هيمنة على المجال العمومي ومن خضوع لـ"لوبيات" الضغط السياسي والاقتصادي، وإقصاء المواطن من حقه في الحصول على المعلومات الضرورية لصياغة مستقبله، إن هذا النوع من الإعلام هو صرخة تنبيه للخطر المحدق بالديمقراطية الغربية التي يعد الإعلام أبرز مظاهرها وأشكالها، إن ثمة احتكار وهيمنة وتأثيرات سلبية للعولمة يعاني منها الإعلام التقليدي تجعله غير آمن بالنسبة لملايين المواطنين في الغرب.[1]

وقد انتقلت ظاهرة صحافة المواطن أو الإعلام التشاركي أو الإعلام البديل إلى بلداننا العربية فكانت من أكبر المساهمين في الحراك الشعبي فيما عرف "بثورات الربيع العربي"، فأصبحت صحافة المواطن في مجتمعاتنا هي صحافة المشاركة والحوار والإبداع، صحافة التفاعل مع الأحداث، فلم يعد المواطن عاجزا عن لعب دور في تحقيق التغيير في مجتمعه، بل تعددت الوسائل التي بها يستطيع أن يعبر المواطن عن نفسه بحرية أمام الحكومات القمعية وإعلامها الذي يزيف الحقائق والأخبار واستطاعت إحكام السيطرة

[1]– جمال الزرن: صحافة المواطن المتلقي عندما يصبح مرسلا، المجلة التونسية لعلوم لاتصال، تونس، ع 51–52، 2009، ص 05.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

على أجهزة المجتمع المختلفة.[1] لكن السؤال هنا هل تؤدي صحافة المواطن دورا إيجابيا بالضرورة في سياق مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية والحفاظ على الأمن الوطني والقومي؟ وإلى أي مدى يمكن الوثوق بهذه الظاهرة الإعلامية الجديدة وهي الظاهرة التي تبدو في أحيان كثيرة ظاهرة هلامية افتراضية تصنعها أسماء مجهولة أو مستعارة، تتخفى خلف الشاشة تنشر الأخبار والمعلومات عن طريق المدونات المكتوبة أو الفيديوهات السمع بصرية؟ وهنا تبرز بعض التهم التي توجه لهذا النوع من الإعلام على نحو افتقاده للمصداقية وضعف التكوين لدى المواطن الصحفي ووقوعه في التشهير والقذف والاعتداء اللفظي، يقول الصحفي في صحيفة لوموند الفرنسية **بيف إيدس**: "إن المواطن العادي لا يستطيع أن يرى الصورة الكلية للخبر الذي ينشره، فهو غير مدرب على أن يرى ما له علاقة بالصورة الكلية، بل يرى ما يريد هو أن يراه، فينقل وجهة نظره هو. فالاكتفاء بالفيسبوك وتويتر كمصادر للمعلومات غير كاف وغير مهني." ويعد نشر الشائعات من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات الإلكترونية من أكبر المخاطر المتعلقة بالأمن الإعلامي.

الواقع أن صحافة المواطن ظاهرة حديثة جدا في مجتمعنا لا تزال في طور التشكل، وحتى لا نقع مجددا في فخ تكميم أفواه الصحفيين ولجم إرادة الإعلاميين بوضع الضوابط وسن القوانين، يبدو أن التعامل مع هذه الظاهرة من أجل ترشيدها خدمة لأمن الوطن وضمانا لأمن الإعلام نفسه، يتطلب أكثر من وضع الضوابط والقوانين –خاصة وأنها ظاهرة ترتبط بالشباب– مما يجعل من التربية الإعلامية أنجع السبل للترشيد والتوجيه.

في الختام يمكن تلخيص سبل مواجهة العولمة الإعلامية وتحقيق الأمن الإعلامي في تحصين البنية الأسرية بالدرجة الأولى ومن ثم تحصين النظام التربوي والتعليمي بإدراج أسس

[1]– ميشيل نجيب: إلى أين تتجه صحافة المواطن؟ متاح على موقع الحوار المتمدن، (2018/06/20)
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=149918&r=50&cid=0&u=&i=162&q

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

التربية الإعلامية في المقررات الدراسية مما يصنع بمرور الوقت أجيالا واعية، تمتلك عقلية انتقائية ناقدة في التعامل مع المضامين الإعلامية الوافدة، مع التركيز على الطرق العملية التطبيقية للتعامل مع وسائل الإعلام المختلفة وخاصة شبكة الانترنت بما تقدمه من إعلام جديد، مع تطوير المضامين الإعلامية الوطنية بأشكالها المتعددة، لأن التطوير في هذا المجال هو الذي سيجعل المتلقي وفيّا لإعلامه المحلي والوطني، ولا بد أن يراعي التطوير احترام عقل المتلقي، والارتقاء بذوقه وبمشاعره.

خاتمة:

تحتاج بلادنا اليوم إلى الأمن بكل فروعه: السياسي والاقتصادي والغذائي والثقافي، ولكن يظل الأمن الإعلامي هو الممهد لها والرابط بينها جميعا، للأهمية القصوى التي يكتسيها قطاع الاتصال والمعلومات والإعلام في ظل العولمة وبخاصة في إحلال الهيمنة الفكرية والثقافية محل الاستعمار القديم، والترويج للعولمة المزيفة أي لطغيان السوق بقوانينها المتوحشة على النظام الاقتصادي التقليدي القائم على المبادلات، وطغيان نمط العيش الأمريكي على مجتمعاتنا كنمط "مثالي".

نحن بحاجة إلى البصيرة الحضارية والتأمل الرصين والاعتبار الهادئ –وهذه فضائل من القيم العربية الإسلامية ملأت تراثنا وأهّلت أجدادنا في عصورهم الذهبية إلى ريادة العالم– ومن الممكن استحضارها الآن لمواجهة طغيان العولمة الإعلامية وتحقيق أمننا الإعلامي بعيدا عن الارتجال والمفاجأة والدهشة والانبهار.

المراجع:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

1– بركة بن زامل الحوشان: الإعلام الأمني والأمن الإعلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

2– بسام عبد الرحمن المشاقبة: الأمن الإعلامي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012.

3– جمال الزرن: صحافة المواطن المتلقي عندما يصبح مرسلا، المجلة التونسية لعلوم لاتصال، تونس، ع 51–52، 2009.

4– حامد ربيع: الأمن القومي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، 1984.

5– رحيمة عيساني: العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010

6– رسلان خضور، سمير إبراهيم حسن: مستقبل العولمة، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، 1998.

7– قوي بوحنية: التلفزيون العمومي الجزائري في ظل غياب فتح القطاع وسيادة منطق الخدمة العمومية، مجلة الإذاعات العربية. اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع 02، 2011

8– صباح ياسين: الإعلام النسق القيمي وهيمنة القوة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

9– صلاح الدين معاوي: رهانات تحول التلفزيون العمومي، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع02، 2011.

10– مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي، الأهلية للنشر، عمان، 2002.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 477–502 تاريخ النشر: 2018/12/13

11– محمد شومان: عولمة الإعلام والهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر، القاهرة، مج 28، ع 02، أكتوبر– ديسمبر 1999.

12– مصطفى المصمودي: النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985.

13– ميشيل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح، القاهرة، 1994.

14– هربرت شيلر: الاتصال والهيمنة الثقافية، تر: وجيه سمعان عبد المسيح، مختار محمد التهامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007.

15– وناس المنصف: العولمة الإعلامية والمجتمع العربي، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع 04، 1998.

16– http://www.aljabriabed.net/n06_01jab_awlama.htm

17– http://site.iugaza.edu.ps/wmanama/extra/course816

18– https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2007/05/25/89911.html

19– http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=5605

20– https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2007/05/25/89911.html

21– http://adimiahmed.over-blog.com/article-72594867.html

22– http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=149918&r=50&cid=0&u=&i=162&q